مسلك اللغة العربية
الفصل 5 / لسانيات
المادة : سيميائيات الخطاب والصورة
الأستاذ : محسن اعمار

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز

السيميائيات: المفهوم والمصطلح

ظهر مصطلح سيميوتيك "Sémiotique" لأول مرة، مع الفيلسوف الإنجليزي جون لوك "J.Locke" (1632-1704) وكان يعني به العلم الذي يهتم بدراسة الوسائل التي تساعد على معرفة نظام الفلسفة والأخلاق، وتوصيل معرفتهما. ويكمن هدف هذا العلم -حسب رأيه- في الاهتمام بطبيعة الدلائل التي يستعملها العقل بغية فهم الأشياء ونقل المعرفة إلى الآخرين، غير أن هذا الاستعمال ظل سجين النظرية العامة لفلسفة اللغة.

بعد ذلك، بعقود طويلة، ظهر مصطلح سميولوجي "Sémiologie" مع اللغوي فرديناد دو سوسير (1857-1913) الذي دعا إلى ضرورة قيام علم جديد حيث يقول: "يمكننا، إذن، أن نتصور علما يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، علما قد يشكل فرعا من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي فرعا من علم النفس العام، وسوف نسمي هذا العلم سيميولوجيا Sémiologic من الكلمة الإغريقية "Semeion" وتعني العلامة، ومن شأن هذا العلم أن يطلعنا على كنه هذه العلامات، وعلى القوانين التي تحكمها. ولأن هذا العلم لم يوجد بعد، فإنه لا يمكن التكهن بمستقبله، إلا أن له الحق في الوجود، ومكانه محدد سلفا. إن اللسانيات ليست سوى فرع من هذا العلم العام والقوانين التي تكتشفها السيميولوجيا، ستكون قابلة لأن تطبق على اللسانيات".

من المؤكد أن دوسوسير لم يعمق بحثه في مفهوم السيميولوجيا بل اكتفى، فقط، بتقديم تصور عام لهذا العلم ولموضوعه ومنهجه، ويرجع السبب في ذلك إلى كونه كان منشغلا بالدرس اللساني وقضاياه. لكن من خلال بعض الفقرات والتعريفات التي قدمها، نستطيع تحديد بعض معالم مصطلح سيميولوجي "Sémiologie" عنده. إن دوسوسير ينطلق في تصوره للسيميولوجيا من الأنساق الدلالية المكونة من الدوال والمدلولات التي تؤدي وظيفة التعبير عن الأفكار الرمزية داخل المجتمعات المختلفة، حيث العلامة اللغوية هي عبارة عن وحدة نفسية ذات وجهين يسميان دالا Signifiant وهو عبارة عن صورة سمعية "image accoustique" تحدثها في دماغ المستمع سلسلة

الأصوات التي تلتقطها أذنه، ومدلول "Signifie" وهو عبارة عن تصور ذهني. ونظرا لكون العلامة اللغوية أو اللغة هي ذات طبيعة اجتماعية فهو يؤكد على اعتباطية هذه الأخيرة، فالعلاقة التي تربط الدال والمدلول هي أصلا علاقة اعتباطية لا رابط بينهما.

لقد أثار مصطلح أو مفهوم اعتباطية العلامة "L'arbitraire du signe" جدلا كبيرا ونقاشا مستفيضا في الفكر السيميوطيقي. فإذا كان دوسوسير يتشبث بمبدأ اعتباطية العلامة، فإن هناك من الدارسين من يرفض هذا المبدأ. ومن بين هؤلاء، إميل بنفنست E.Benveniste الذي يرى أن الاعتباطية لا تقوم بين الدال والمدلول، وإنما بين الدال والمشار إليه في الواقع. في حين نجد من يأخذ برأي دوسوسير في مسألة الاعتباطية، ومن بين هؤلاء امبرطو ايكو "U.Eco" الذي يرى أن مشكلة المشار إليه "référent" تخرج عن نطاق علم السيميوطيقا "إن ما تبحثه السميوطيقا هو: ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر لكي يفهم الشخص الذي تنقل إليه الرسالة قولك، أي هل هناك شفرة مشتركة تجمع بينك وبين هذا الشخص؟ هل توافقتما على اتفاق مسبق يقضي بإسناد معنى معين لكل علامة من العلامات التي تكون الرسالة؟

وفي الفترة التي كان دوسوسير يرسخ فيها أسس مصطلح السيميولوجيا ظهر مصطلح جديد في الجانب الآخر من المحيط الأطلسي حيث دعا الأمريكي شارل ساندرس بيرس Ch.S.Peirce (1839-1914) إلى إمكان قيام علم جديد سماه سيميوتيك "Sémiotique" حيث يقول: "إنني في حدود ما أعلم رائد في العمل الهادف إلى إعداد حقل وفتحه، حقل أسميه بالسيميوتيكا Sémiotique، أي نظرية الطبيعة الجوهرية لكل سميوزيس ممكن، ونظرية تنوعاته الأساسية" (Ecrit/p135).

كان بيرس Peirce -بخلاف دوسوسير- يشتغل بالفلسفة والمنطق والرياضيات والفينومينولوجيا أو الظاهراتية، وقد استند في تعريفه لمفهوم السميوتيك على هذه العلوم، يقول: "ليس بوسعي أن أدرس أي شيء مثل الرياضيات والأخلاق والميتافيزيقا والجاذبية وعلم الأصوات والاقتصاد وتاريخ العلوم... إلا بوصفه دراسة سيميوطيقية،

والمنطق بالنسبة لبيرس "ما هو إلا تسمية أخرى للسيميوتيك، إنه النظرية شبه الضرورية أو الشكلية للعلامات". (Ecrits p120)

لقد وضع بيرس Peirce مجموعة من المصطلحات والمفاهيم، كمفهوم السيميوزيس "Sémiosis" الذي يتخذه كأساس لسيميوطيقاه، ويعني به السيرورة التي يعمل بموجبها شيء ما كدليل أو علامة، وتحتوي هذه السيرورة على ثلاثة أبعاد: الممثل والمؤول والموضوع. ويقصد بيرس بمصطلح الممثل: "هو شيء يمثل شيئا ما بالنسبة لشخص ما بمظهر ما أو إمكانية ما" (Ecrits p228) و"الممثل بوصفه علامة تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة، أو ربما علامة أكثر تطورا، وهذه العلامة التي تولدها اسميها مؤولا للعلامة الأولى. إن هذه العلامة تنوب عن شيء ما وهذا الشيء هو موضوعها Objcct" (نفس الصفحة).

إن هذه العناصر تتحدد انطلاقا مما يصطلح عليه عند بيرس بالمقولات الفانيروسكوبية، والفانيرون هو "مجموع ما هو حاضر في الذهن بأية صفة، وبأية طريقة دون الاهتمام بتطابقه أو عدم تطابقه مع شيء واقعي" (Ecrits p67)

لقد ميز بيرس داخل هذه المقولات الفانيروسكوبية بين العلامة النوعية "Qualisigne"، والعلامة المنفردة "Sinsigne" والعلامة القانونية "logisigne". كما وضع تعريفات وتحديدات لمصطلحات العلامة الأيقونية، والعلامة الإشارية، والعلامة الرمزية ...الخ وهكذا نجد أن سيميوطيقا بيرس تؤسس علامة ذات أبعاد ثلاثية غير قابلة للاختزال في عنصرين، كما هو الشأن بالنسبة للعلامة السوسيرية.

وقع خلاف كبير بين الباحثين حول مسألة التسمية، وظل النقاش محتدما فيما بينهم لمدة طويلة، فهناك من فضل استعمال مصطلح "Sémiologie" وهؤلاء هم في الغالب أتباع ومريدو اللغوي دوسوسير كأندري مارتيني "A.Martinet" ورولان بارت "R.Barthes" هذا الأخير الذي دعا إلى إلحاق السميولوجيا باللسانيات وليس العكس، كما ذهب إلى ذلك دوسوسير، لأن اللغة في تصور رولان بارت، هي الأقوى على

وصف الظواهر سواء كانت لغوية أو غير لغوية (موضة، لباس، صـــورة...). وبمـــا أن إنتاج الدلالة مرتبط باللغة، فإن رولان بارت اتجه نحو ما يصطلح عليـــه بســـميولوجيا الدلالة "La sémiologie de la signification"، حيث تصبح العلامة اللغوية مجـــرد دال لعلامة مركبة يطلق عليها بارت اسم الدلالة، ولتحقيق هذه الغاية، ألح بـــارت علـــى ضرورة توظيف مناهج ومفاهيم اللسانيات في الحقل السيميولوجي.

في سنة 1969 أقرت الجمعية العالمية للسيميوطيقا، التي انعقدت بباريس، أولويـــة مصطلح "Sémiotique" سيميوتيكا (وإن لم تبعد مصطلح ســـيميولوجي Sémiologie)، ومن بين أعضاء هذه الجمعية نذكر: جوليا كرســـتيفا J.Kristeva ويـــوري لوتمـــان Y.Lotman، وامبرطو إيكو U.Eco، وتوماس سبوك T.Sebeok، وآخرون ولعل أهـــم إنجاز حققته الجمعية هو إصدارها لمجلة فصلية تحت عنوان: سميوتيكا "Semiotica".

غير أنه ابتداء من سنة 1970 ستبدأ الاختلافات المنهجية بـــين المصطلحـــين في الظهور. ففي الوقت الذي ظلت فيه السميولوجيا أسيرة البناء الإبستيمولوجي للسانيات لربطها العلامة باللغة الطبيعية (أي قراءة العلامات غير اللغوية بمنهج لســـاني)، تحـــاول السيميوتيكا التحرر من قيود اللغة الطبيعية، وتشكيل لغة واصفة "metalangage" لنظرية العلامات العامة.

التمييز الثاني نجده لدى يالمسليف، من خلال تفريقه داخل السميوطيقا بين اللغـــة ذات الموضوع العلمي، ويطلق عليها السيميوطيقا الواصفة "Métasémiotique" كلغـــة المنطق والرياضيات واللســـانيات، وبـــين الســـيميوطيقا الإيحائيـــة "la sémiotique connotative" كلغة الأدب والفن مثلا.

أما كريستيان ميتز "C.Metz" أحد المتخصصين الكبار في سيميوطيقا الســـينما فيحتفظ بمصطلح "Sémiologie" للدلالة على العلم الذي يهتم بنظرية العلامات العامـــة، بينما يستعمل مصطلح "Sémiotique" للدلالة على مختلف العلوم والتخصصـــات الـــتي تندرج تحت إطار نظرية العلامات، في نفس الوقت، تحتفـــظ لنفســـها بدرجـــة مـــن

الاستقلالية. فالتخصصات السميوطيقية تندرج في السميولوجيا بنفس الدرجة التي تندرج فيها سائر اللغات في اللسانيات العامة.

مصطلح آخر من وضع جوليا كريستيفا السمانالیز "Sémanalyse" أي ما يقابل السميائيات التحليلية وهو علم يقدم أحيانا باعتباره جزءا من السميوطيقا وأحيانا كمرادف لها. تحاول جوليا كريستيفا عن طريق الجمع بين اللسانيات والتحليل النفسي والماركسية تجاوز السميائيات البنيوية في صورتها الشكلية إلى البحث عما تسميه بالإنتاجية النصية "la production textuelle" إن كريستيفا عندما تدرس الممارسة الدلالية من موقع التحليل النفسي؛ تسعى من وراء ذلك إلى القبض على الذات المنتجة للنص، هذه الذات التي طالما تم تغييبها من طرف البنيوية من خلال إعلانها عن موت الإنسان، ومن طرف الماركسية كذلك من خلال صهر الذات في الممارسة الاجتماعية. إن السميوطيقا بالنسبة لجوليا كريستيفا، هي نقد لنماذجها الفكرية، أو العلم الذي ينقد ذاته إنها تشكل قطيعة مع النظرة الغائية لعلم خاضع لنسق فلسفي. إنها طريق مفتوح إلى ما لا نهاية، تقول كرستيفا "ملتقى العلوم وصيرورة نظرية دائمة، السيميولوجيا لا يمكن أن تتشكل كعلم، وهي أبعد ما تكون عن العلم، إنها نهج مفتوح للبحث، هي نقد مستمر تحيل إلى ذاتها بمعنى تنقد ذاتها".

- غالبا ما يقع الخلط بين مصطلح "Sémiotique" الذي يعني علم العلامات ومصطلح "Sémantique" من الكلمة اليونانية "Semaino" (دل على) وبهذا يكون مصطلح "Sémantique" هو علم الدلالة ويقصد به دراسة معنى الكلمات، فالقيمة الدلالية للكلمة تكمن في معناها.

إذا انتقلنا إلى استعمالات المصطلح في الحقل العربي نجد أن هناك عدة ترجمات لمصطلحي "Sémiologie" و"Sémiotique" فهناك من يستعمل مصطلح السيميائيات أو السمائيات أو السمياء المشتقة من الكلمة العربية سمة أي علامة (وسم البعير أي علمه) وهناك من يترجم المصطلح بعلم الإشارات أو الإشارية أو علم الرموز أو الرموزية،

وهذان المصطلحان لا يشكلان سوى جزءا من علم العلامات، إذ الإشـــارة والرمـــز بالنسبة ليرس، مجرد نوعين من بين أنواع متعددة من العلامات.

ثم هناك من يستعمل مصطلح علم الدلالة، أو الدلائلية، أو علم الأدلة، لكن هذا الاستعمال قد يلتبس بعلم الدلالة "La sémantique" الذي يشكل مع المعجم والتركيب أحد مكونات اللسانيات.

وهناك من يستعمل مصطلح علم العلامات كالباحث التونسي عبـــد الســـلام المسدي.

وأخيرا، هناك من لجأ إلى تعريب مصطلح سيميولوجي "Sémiologie" بإضافة يـاء مزيدة وألف ممدودة فأصبحت الكلمة سيميولوجيا وذلك تماشيا مع تعريب أسماء العلـوم مثل السوسيولوجيا والبيولوجيا.

أما فريق آخر، فقد تبنى مصطلح سيميوتيك "Sémiotique"، وعربها عن طريـق قلب الكاف قافا والتاء طاء، وإتباعها بمد مفتوح، فأصبحت الكلمة سيميوطيقا.

نلاحظ أن هناك جهود مبذولة من طرف الباحثين العرب سواء مـــن حيـث استيعاب المصطلحات السيميائية وتمثلها، أو من حيث ترجمتها وتعريبها وإيجاد مقـابلات لها، لكن هناك مشاكل كبيرة ومستعصية تواجه هؤلاء، وذلك نتيجة غياب ضوابـــط مشتركة وموحدة في كيفية وضع المصطلح وترجمته وتعريبه.

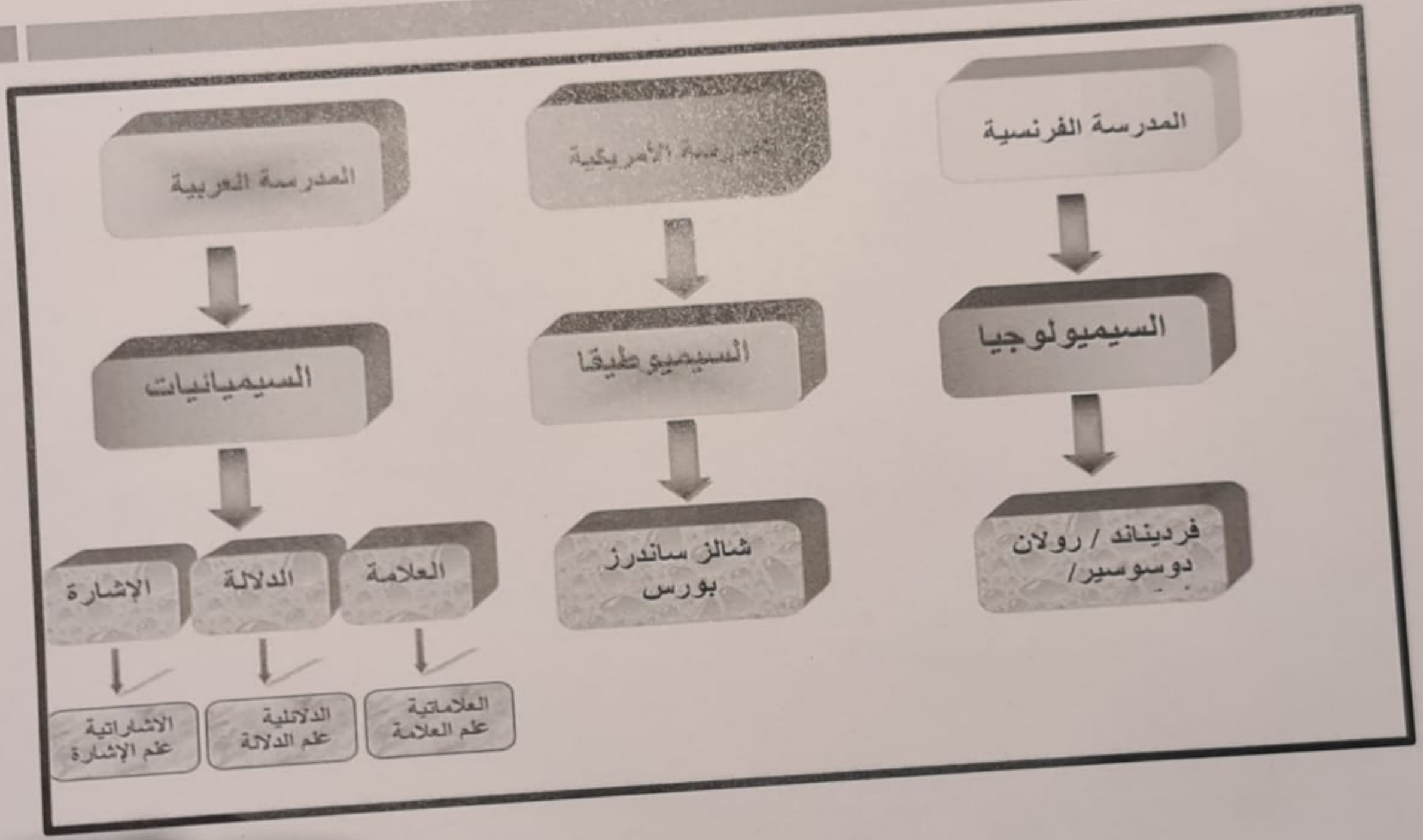
المدرسة الفرنسية
السيميولوجيا
فرديناند / رولان دوسوسير/
المدرسة الأمريكية
السيميوطيقا
شالز ساندرز بورس
المدرسة العربية
السيميائيات
العلامة
الدلالة
الإشارة
العلاماتية علم العلامة
الدلالية علم الدلالة
الاشاراتية علم الإشارة

بيبليوغرافيا

المراجع العربية:

1. سعيد بنكراد: السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، سلسلة شرفات // منشورات الزمن 2003.

2. سعيد بنكراد: عالم الفكر "السميائيات النشأة والموضوع" العدد 3 مجلد 35 ينـــــاير، مارس 2007.

3. ماندكوكيم: حول مشروع تاريخ السميوطيقا، أسئلة وقضايا ابستيمولوجية، ترجمـة محسن أعمار، علامات عدد 21، 2004، ص.ص: 127-137.

المراجع الأجنبية:

1. BARTHES R.: "Elements de sémiologie" in communications, n°4, Paris, Seuil, 1964, PP91, 135.
2. BENVENISTE E.: Problèmes de linguistique générale, T.1 et T.2, Paris, Gallimard, 1966.
3. CHADLI EL M.: Sémiotique vers une nouvelle sémantique du texte (problèmatique, enjeux et perspectives thèoriques), Publication de la faculté des Lettres et des sciences humaines, Rabat, 1995.
4. DE SAUSSURE F.: Cours de linguistique générale, Ed. Payot, 1972.
5. DUBOIS J.(et autres): Dictionnaire de linguistique, Paris, Larousse 1973.
6. ECO U.: Sémiotique et philosophie du langage, Ed. P.U.F, 1988.
7. GREIMAS (A, J): La sémantique structurale, Paris, Seuil, 1966.
8. GREIMAS et COURTES J.: Sémiotique, dictionnaire raisonné de la theorie du langage, Paris, Ed. Hachette, 1979.
9. GREIMAS et COURTES J.: Sémiotique, dictionnaire raisonné de la theorie du langage, T.2, Paris, Ed. Hachette, 1986.
10. HJLMSLEV L.: Prolegomènes à une théorie du langage, Paris, Minuit, 1971.
11. KRISTEVA J.: La sémiologie "science critique et/ou critique de science" in theorie d'ensemble, Paris, Seuil, 1968, PP89, 93.
12. KRISTEVA J.: Recherche pour une sémanalyse, Paris, Seuil, 1969.
13. PEIRCE (Ch.S): Ecrits sur le signe, Paris, Seuil, 1978.